14/11/2025

جرحى وقتلى في الطريق

بسم الله المتفرد بالجمال والجلال والكمال. من إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، جبر القلوب المنكسرة إليه بجمال جوائزه وعظيم تحفه، ورفع أحبابه إلى موائد أنسه، ودثرهم بدثار محبته، ورفع عنهم حجب جماله، فكساهم من نور قدسيته، وأيدهم بعجيب توفيقه، حتى أشرقت أرواحهم بجميل تجليه، وهامت حبا فيه.

وأصلي على نبينا وحبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، حبيب ربنا ومجتباه وصفيه ومصطفاه، من تزينت الأكوان بذكر اسمه، وتضوعت الغبراء فرحا بمولده، وتفتتت الأكباد شوقا إليه، وتهافتت الأرواح ترنو إلى الجلوس في حضرته. الصلاة والسلام عليك يا حبيبي يا رسول الله.

خطبتنا بعنوان جرحى وقتلى في الطريق

لَيسَ حديثُنا اليومَ عن طريقٍ من تُرابٍ وأسفلتٍ، ولا عن طريقٍ تُسافرُ بهِ الأرجلُ، بل هو طريقٌ تَسافرُ فيهِ القلوبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. طريقُ السُّلوكِ إلى اللهِ، طريقٌ لا تُقاسُ المَسافاتُ فيهِ بالأميالِ والكيلومترات، بل تُقاسُ بِقُربِ العبدِ مِن ربِّهِ، وبصفاءِ قلبِهِ، وصدقِ عملِهِ. قال الإمامُ ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ تعالى: كمْ في هذا الطريقِ مِن قتيلٍ وسليبٍ وجريحٍ وأسيرٍ وطريد! (مدارج السالكين، 1/35). إنَّهُ طريقُ العبوديَّةِ الخالصةِ، طريقُ المجاهدةِ، طريقُ القلوبِ التي تُهاجِرُ إلى اللهِ، تاركةً خلفَها الشهواتِ والشُّبهاتِ. أيها المؤمنون،

إنَّ اللهَ تعالى أمرَنا أنْ نسلُكَ هذا الطريقَ بأمانٍ وهدًى، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:153].

فَصِراطُ اللهِ عز وجل هوَ طريقُ التوحيدِ والطاعةِ، مَن سلكَهُ نجا، ومَن أعرضَ عنهُ هلكَ، ومَن تردَّدَ في وسطِهِ هَلَكَ معَ الهالكينَ. وقد شَبَّهَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هذا الصِّراطَ بمثالٍ بديعٍ في الحديثِ الصحيحِ عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضي اللهُ عنه، قالَ: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُستَقيمًا، وعلى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فيهِما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلى الأبوابِ سُتُورٌ مُرْخاةٌ، وعلى بابِ الصِّرَاطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ، ادخُلوا الصِّراطَ جميعًا ولا تَتَفَرَّقوا، وداعٍ يَدعو من فوقِهِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أن يفتَحَ شيئًا من تلكَ الأبوابِ قالَ: ويحَكَ لا تفتَحهُ فإنَّكَ إنْ تفتحْهُ تلجْهُ. (رواه أحمدُ في المسند

إنَّهُ مَثلٌ عظيمٌ يُبَيِّنُ لنا أنَّ طريقَ اللهِ واضحٌ، لكنَّ الشيطانَ يُزيِّنُ أبوابَ الانحرافِ على جانِبَيْهِ.

أيُّها الإخوةُ الأحبَّةُ،

طريقُ اللهِ محفوفٌ بالمكارهِ، كما قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلمَ في الحديثِ المتفقِ عليهِ: حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ.

فالمؤمنُ لا يُصابُ بالعُجبِ إذا وجدَ صعوبةً في الطاعةِ، ولا يَضجَرُ إذا ابتُلِيَ بالصبرِ، لأنَّهُ يعلمُ أنَّهُ سائِرٌ إلى الجنَّةِ، والطريقُ إليها لا يكونُ مفروشاً بالوردِ، بل تُروى طريق السالكينَ بدموعِهم ومجاهدتِهم.

قالَ ربُّنا تباركَ وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:197].

فالَّذي يسيرُ إلى اللهِ يحتاجُ إلى زادٍ، وزادُ المسافرينَ إلى ربِّهم هوَ تقوى اللهِ عز وجل. وسُئلَ أبو هريرةَ رضي اللهُ عنهُ عن معنى التَّقوى، فقالَ لِمَن سألهُ: «هل سَلَكتَ طريقًا ذا شَوكٍ؟ قال: نعم. قال: فَكيفَ صَنعتَ؟ قال: إذا رأيتُ الشَّوكَ عدلتُ عنهُ. قال: ذاكَ التَّقوى.» (رواه ابنُ أبي الدنيا في كتاب التَّقوى).

فما أجملَ هذا التَّمثيلَ!

التقوى أنْ تسيرَ في طريقِ الحياةِ بحذرٍ وخوفٍ من أنْ تَقعَ في ما يُغضِبُ اللهَ، وأنْ تُراقِبَ خطواتِك فتجتنِبَ الشوكَ قبلَ أنْ يُمزِّقَ قلبَك. أيُّها المؤمنون،

مَن أرادَ أنْ يسيرَ في طريقِ اللهِ فلا بُدَّ أن يُصحِّحَ قلبَهُ، فإنَّ القلبَ هو المَلِكُ، وسائرُ الجوارحِ جندٌ له.

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلُّهُ، ألا وهيَ القلبُ. (رواه البخاري ومسلم).

فصلاحُ طريقِك إلى اللهِ يبدأُ بصلاحِ قلبِكَ، وزكاتِه، وطُهرِ نيتِك. ولذلك كان السلفُ الصالحُ يَهتمُّون بصفاءِ القلوبِ أكثرَ مِنْ ظاهرِ الأعمالِ

قيلَ للإمامِ الجنيدِ رحمهُ اللهُ: «بِمَ نلتَ هذهِ المنزلة؟»، فقالَ: «بِجلوسِي بينَ يديِ اللهِ تعالى ثلاثينَ سنةً أُجدِّدُ كلَّ يومٍ نِيَّتِي.» (سير أعلام النبلاء 14/68).

الطريقُ إلى اللهِ مليءٌ بالعقباتِ؛ منها ما هوَ مِن النَّفسِ، ومنها ما هو مِنَ الشيطانِ، ومنها ما هو مِن أهلِ الغفلةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:53]،

وقالَ إبليسُ لعنهُ اللهُ كما حكى القرآنُ عنهُ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:16-17].

فالشيطانُ يقطَعُ الطريقَ على السالكينَ، يُلبِسُ الباطلَ ثوبَ الحَقِّ، ويُزهِّي المعصيةَ ويهوِّنُ عاقبتَها. وقد قالَ ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ: والطريقُ إلى اللهِ طريقٌ وعرٌ كثيرُ العَثَراتِ، طويلُ المَسافَةِ، مَن لم يَسِرْ فيهِ بِعَونِ اللهِ زَلَّ وهَلَكَ. (مدارج السالكين 2/12).

أيُّها الأحبّةُ،

لهذا أمرَنا اللهُ تعالى بصُحبةِ الصَّالحينَ، لأنَّ القلبَ يَضعُفُ بالوَحدةِ ويقوَى بالمُرافقةِ.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:28].

وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: الرَّجُلُ على دِينِ خَليلِهِ، فلينظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ. (رواه أبو داود والترمذي). وكانَ بعضُ السلفِ يقولُ: «تعلَّموا الإيمانَ قبلَ القرآنِ، فإذا قرأتم القرآنَ ازددتم بهِ إيماناً.» لأنَّ الصحبةَ والإيمانَ هما زادُ السالكينَ في الطَّريقِ إلى ربِّ العالمينَ. فتشبَّهوا بالصالحينَ تُحبُّكم الملائكةُ، وكونوا في رفقةِ القومِ المُعلَّقة قلوبُهم باللهِ، تواصَوا بالحقِّ وتواصَوا بالصَّبرِ، واجعلوا دينَ اللهِ زادَكم في المسيرِ إلى الجنَّةِ.

أيُّها الإخوةُ،

احذروا الغفلةَ، فإنَّها القاتلةُ الحقيقيةُ في هذا الطَّريقِ، قالَ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ: «الغفلةُ نومُ القلبِ، فإذا غَفَلَ القلبُ عن اللهِ انقطَعَ الطريقُ.»

فاسألوا اللهَ أن يُوقِظَ قلوبَكم، وأن يُنقِّيَها من الغِلِّ والحسدِ والرياءِ. وابكوا على ذنوبِكم في الخلواتِ، وارجِعوا إلى اللهِ بالتوبةِ الصادقةِ، وأكثِروا من قولِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:8].

مَن أرادَ النَّجاةَ فلا يقفْ في منتصفِ الطَّريقِ، ولا يلتفِتْ إلى الوراءِ. سيرُوا بقُلوبِكم إلى اللهِ تعالى، فإنَّهُ كريمٌ مَحبٌّ لعبادِهِ، مَن أتاهُ تائباً قَبِلَهُ، ومَن رجاهُ لم يَخِب، ومَن طرقَ بابَهُ فتحَهُ. قالَ ربُّنا جلَّ شأنُهُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:53].

أيُّها الأحِبَّةُ الكِرامُ،

إنَّ واقعَ أهلِنا في غزَّةَ اليومَ هو صورةٌ حيَّةٌ من صورِ تطبيقِ هذا السُّلوكِ القلبيِّ العظيمِ في زمنِ المِحَنِ والابتلاءاتِ. ففي خِضَمِّ الجراحِ الكثيرةِ، ومع كلِّ تضييقٍ وشِدَّةٍ ومخاطرَ جديدةٍ قد تظهرُ في مستقبلِ أيامِهم، ترى الإيمانَ والثباتَ والصَّبرَ يعلو وجوهَهم ويلوِّنُ كلماتهم وأفعالهم، فيصبحون للآخرينَ مِصباحَ قُدوةٍ ونورِ يقينٍ. لقد تعلَّمَ أهلُ غزةَ كيفَ يسِيرونَ مع اللهِ في طريقٍ محفوفٍ بالعقباتِ والمخاوفِ، يعلمونَ أنَّ الأمنَ المادّيَّ المؤقَّتَ ليسَ هو الغايةُ الكبرى، بل أن يكون القلبُ مؤمناً ثابتاً متوكِّلاً، مستمسكاً بحبلِ الرجاءِ والصبرِ. إنَّ هذه الرِّحلة لا تخلو من جراحٍ أو لحظاتِ ضعفٍ، لكنَّ الفائزَ فيها من حفظَ قلبَه من التشتُّتِ والتردُّدِ وفقدانِ الثقةِ بنصرِ اللهِ، ولم يجزع إذا رأى الطريقَ طويلاً أو سمعَ التهويلَ والتخويفَ من المستقبلِ أو المجهولِ أو العجزِ عن حمايةِ النفسِ والبلد. أيُّها السالكونَ في طريقِ الله، من أرادَ ألَّا يكونَ من الجرحى أو المتساقطين، فعليه بأربعٍ: أن يُجدِّد نيّتَه في السيرِ إلى اللهِ كلَّ يومٍ ويصدق في طلب رضاهُ عزَّ وجلَّ وأن يصبر حين الضيقِ ويشكر حين الفرجِ ويحتسبُ أنَّ مع العسرِ يسراً أن يداومَ على الدعاءِ ويتوكل على مولاهُ في كلِّ أمورهِ وأن يُلازم الصحبة الطيبةَ والذكرَ فلا يخلو قلبُه مِن الإيمانِ ولا تترك همتهُ

المعركةَ مهما طال المدى فهذا هو طريقُ النجاةِ الذي لا تحكمهُ تحولاتُ الوقائعِ ولا تبدلاتُ الأوضاعِ على الأرضِ، بل يحكمهُ تعلقُ القلب بربِّه عزوجل. واسمعوا إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]

وحديثِ النبيِّ ﷺ:

«عَجَباً لأمر المؤمن، إن أمره كلّه له خير: إن أصابته سرّاءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

اجعلوا قلوبكم مع أهلِ غزة وادعوا لإخوانكم، وساعدوهم بالدعاءِ والعملِ الخيرِ والدفاع عنهم بكل ما أوتيتم من قوة.

اللَّهُمَّ يا قَيّومُ، يا مِنْ يُعوِّضُ الصَّابِرِينَ، اجعل صبرَ أهلِنا في غزة والسودان فوزًا ونصرًا، وثبّت أقدامَهُم على الحقِّ، وارزقهم الأمنَ والفرجَ القريبَ، ثبّت قلوبَنَا على طاعتِكَ، واهدنا إلى ما تحبُّ وترضى، ولا تجعلنا من الغافلينَ والمتساقطينَ، يا أرحمَ الراحمينَ.

Un camino muy especial

Queridos hermanos en Allah, Hoy reflexionamos sobre un camino muy especial, no es un camino de tierra ni de asfalto, no se mide en kilómetros, sino es el camino que recorren las almas hacia Allah, un camino invisible para los ojos, pero muy real para el corazón. Allah, el sabio, nos advierte que en este camino hay muchas dificultades, y que no pocos caen heridos o se pierden. Ibn al-Qayyim nos recordó que en este camino hay muertos, prisioneros, heridas y pérdidas. Es el camino de la verdadera servidumbre y esfuerzo, el camino del abandono de deseos y problemas para buscar la cercanía a Allah. Allah nos ordena seguir este camino recto, el camino del monoteísmo y la obediencia, ese que hará que los que lo recorran encuentren seguridad y éxito, mientras que quienes se aparten naufragarán. El Profeta Muhammad, la paz sea con él, comparó este camino a un sendero con vallas a cada lado y puertas abiertas, pero donde a cada paso el enemigo intenta desviar al viajero. El camino está rodeado de dificultades que debemos esquivar con cuidado y vigilancia. El verdadero éxito es evitar las trampas del ego y del Diablo. El camino hacia Allah requiere que el corazón esté limpio y fuerte, porque si el corazón está sano, todo el cuerpo estará sano, y si se corrompe, el resto también se corrompe. Nuestros hermanos en Gaza hoy representan un ejemplo claro de este esfuerzo espiritual. A pesar de las dificultades extremas, el hambre y la amenaza constante, mantienen la fe viva, creyendo que la verdadera seguridad no está en lo material sino en Allah. Ellos nos enseñan que el verdadero fiel es aquel que no se desanima, que persevera en la fe y confía plenamente en la promesa de Allah. Para no caer heridos o caídos en el camino, debemos cumplir cuatro principios: renovar diariamente la intención de buscar la satisfacción de Allah, ser pacientes en las dificultades y agradecidos en la facilidad, mantener el contacto constante con Allah a través de la oración y el recuerdo, y rodearnos siempre de buenas compañías que fortalezcan nuestra fe. Como dice Allah en el Corán:

«Solo serán homenajead@s los pacientes con su recompensa sin medida» [Az-Zumar:10]. El Profeta ﷺ dijo:

"Maravilloso es el caso del creyente, porque todo su asunto es para bien. Si le sucede algo bueno, da gracias y eso es mejor para él. Y si le sucede una calamidad, tiene paciencia y eso es mejor para él." (Muslim) Por eso, pongamos nuestros corazones con Gaza y con todos los oprimidos, y

elevemos nuestras voces en súplica continua para que Allah les facilite, les proteja y les libere de sus pruebas.